

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[277] ثم أمرهم الأخ الأكبر أن يرجعوا إلى أبيهم ويخبروه بما جرى عليهم (ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) وهذه شهادة نشهدا بمقدار علمنا عن الواقعة حيث سمعنا بفقد صواع الملك، ثم عثر عليه عند أخينا، وظهر للجميع إنّه قد سرقها (وما شهدنا إلا بما علمنا) ولكن نحن لا نعلم إلا ما شهدناه بأعيننا وهذا غاية معرفتنا (وما كذّا للغيب حافظين). وقد يرد احتمال في تفسير هذه الآية، فلعلّهم بقولهم: (وما كذّا للغيب...) أرادوا أن يخاطبوا أباهم بأنّنا وإن قطعنا عند الأيمان والعهد المغلطة على أن نرجع أخانا سالماً، لكنّنا لا نعرف من الأمور إلا طواهرها ومن الحقائق إلا بعضها، فغيب الأمور عند الأ سبحانه ولم نكن نتصور أن يسرق أخونا. ثم أرادوا أن يزيلوا الشكّ والريبة عن قلب أبيهم فقالوا يمكنك أن تتحقّق وتساءل من المدينة التي كذّا فيها (وسأل القرية التي كذّا فيها) (1) ومن القافلة التي سافرنا معها إلى مصر ورجعنا معها، حيث أن فيها أناساً يعرفونك وتعرفهم، وبمقدورك أن تسألهم عن حقيقة الحال وواقعها (والعير التي أقبلنا فيها) (2) وفي كلّ الأحوال كن على ثقة بأنّنا صادقون ولم نقص عليك سوى الحقيقة والواقع (وإنّا لصادقون). يستفاد من مجموع هذه الكلمات والحوار الذي دار بين الأولاد والأب أنّ قضية سرقة بنيامين كانت قد شاعت في مصر، وأنّ جميع الناس علموا بأنّ أحد أفراد العير والقافلة القادمة من كنعان حاول سرقة صواع الملك، لكن موظفي الملك تمكّنوا بيقظتهم من العثور عليها والقبض على سارقها، ولعلّ قول الأخوة

1 - (القرية) لا تطلق عند العرب على القرى والأرياف خاصّة، بل يشمل جميع الأرياف والمدن والقرى، الصغيرة منها والكبيرة - والمقصود منها في الآية هي مصر. 2 - «عير» كما يقول الراغب في المفردات - تعني الجماعة التي تصحب معها الإبل والدواب المحمّلة بالغذاء، أي يطلق على المجموع «عير» فعلى هذا يكون السؤال منهم ممكناً لأنّ الكلمة تشمل الأشخاص أيضاً ولا حاجة للتقدير، ولكن بعض المفسّرين ذهب إلى أنّ «العير» يطلق على الدواب فقط فلا بدّ من التقدير كما هو الحال في «القرية».